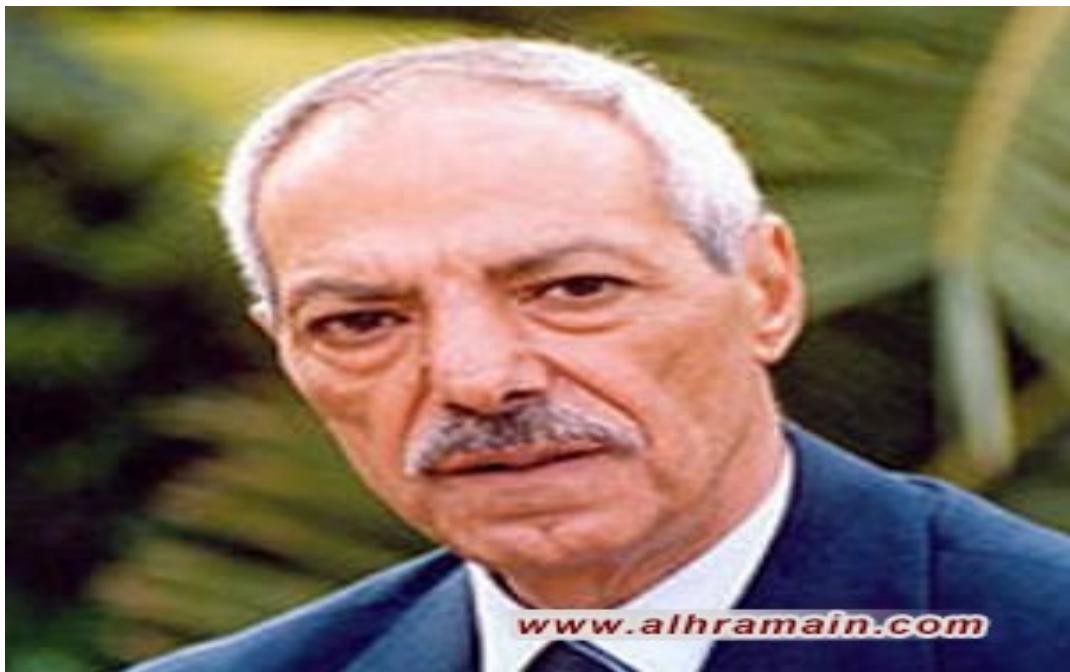


بين جمال خاشقجي وناصر السعيد: انه الاسلوب الخاص بمملكة الصمت والذهب!



طلال سلمان

لم التق الكاتب الصحفي السعودي جمال خاشقجي الا في دبي، وعلى هامش اجتماعات جائزة الصحافة العربية التي كانت تقدم سنويا الجوائز لأفضل النصوص في مختلف مجالات الانتاج الصحفي... ولقد قدم لي بعض كتبه، واتفقنا على التوابل المهني برغم الاختلاف في الموقف السياسي الذي لا يفسد للود قضية. مرت الايام، وكان يتصل بي بين حين وآخر، لا سيما حين تواترت الاخبار عن قرب اقفال "السفير"، وكان اتصاله الأخير بعد الاقفال حيث ابدى حزنه على غياب "السفير"، واعداً بالمرور اذا تيسرت له الفرصة لزيارة بيروت..

.. وحين قام ولي العهد السعودي محمد بن سلمان باحتجاز البعض من ابناء عمومته وخؤولته، مع عدد من كبار رجال الاعمال، وابتزهم فلم يفرج عن معظمهم الا بعد أن دفعوا "الجزية" نقداً وتنازلات عن بعض الاسهم المذهبية وبعض الشركات التي يملكون، خطر ببالي أن اطمئن على جمال خاشقجي.. لكنني كنت اعرف انه في واشنطن، وانه يكتب في بعض كبريات الصحف الاميركية، مقتربا من الوضع في مملكة الصمت والذهب بالإيماء وليس بالكلام المريح.

.. وتابعت اخبار جمال خاشقجي في اسطنبول، وشاهدت صوره مع خطيبته التركية، واستغربت ذهابه إلى القنصلية السعودية للحصول على تأشيرة لخطيبته، وافتضرت انه قد سوى اموره مع القيادة في المملكة، والا فلا شيء يضطره للعودة إلى "السجن المذهب" كما تعارفنا على تسمية مملكة الصمت والذهب.. ثم.. كانت المدمة: دخل جمال خاشقجي القنصلية ولم يخرج منها، بينما خطيبته تنتظره خارجها، وهي ما

نزلال تنتظره، برغم يقينها انه لن يعود.

كان طبيعياً أن تنكر المملكة معرفتها بالأمر، ثم أن تؤخذ من يحقق في سر اختفاء هذا المعارض الذي مشى بقدميه إلى معتقله الذي يبدو أنه قد تحول إلى "مدفنه"، لا سيما بعد وصول أكثر من بعثة تحقيق سعودية إلى القنصلية والبحث فيها بلا جدوى، والاكتفاء بنفي الرياض الذي لا يجدي الا في تأكيد التهمة، التي صارت "جنائية"، بعدما حسمت انقره الامر، فطالبت الرياض بأدلة قاطعة حول وجوده حياً، وليس الاكتفاء بإيفاد بعثة من الخبراء للبحث عنه في القنصلية التي تحولت إلى مغارة على با با.

عادت إلى ذاكرتي، عبر متابعتي "قضية" جمال خاشقجي حادثة مشابهة جرت بالقرب من مكتب "السفير" في بيروت مع المعارض بل المناضل السعودي ناصر السعيد.

كان ناصر السعيد صديقاً حمياً، وقد التقى مراراً في القاهرة حيث كان يقيم كلاجئاً سياسياً.. ثم جاء وقته بعد ثورة اليمن (السلال) في 26 ايلول 1962.. فبعثت به القاهرة إلى صنعاء، حيث تولى الحملة على حكام السعودية، وهو يعرف الكثير من مآثرهم، أيام كان قائداً نقا بياً، ثم مناضلاً سياسياً، قبل أن ينجو بجلده فيطير إلى القاهرة..

ومن مآثر هذا المناضل الذي لا يتعب انه اكتشف بينما كان يجول في القاهرة أن ثمة شارعاً باسم الملك عبد العزيز آل سعود.. فبادر إلى ارسال برقيه إلى محافظة القاهرة يطالبها فيها بحذف اسم "هذا الخائن" فوراً. لكن المحافظ لم يهتم لبرقية تأتيه من مجهول، فما كان من ناصر السعيد الا أن ابرق إلى وزير الداخلية، ثم إلى رئيس الحكومة، واخير إلى الرئيس جمال عبد الناصر.. ولا جواب. على هذا فقد توكل ناصر على الله، وحمل على سيارته سلماً وذهب ومعه سطل من الدهان، ووقف سيارته في اول الشارع المعنى، ثم ارتقى السلم وبasher تغيير اللافتة إلى "شارع الجزيرة العربية" ..

جاء الشرطي فاستغرب المشهد، وصاح بناصر: بتعمل ايه يا جدع؟!

رد ناصر من دون أن يتوقف عن العمل: وانت مالك، امشي.. هيا!

قال الشرطي لنفسه: اكيد، ده مسؤول.. طيب، وانا مالي صحيح؟!

لكن "الاجهزة" تحركت بعديه، فهرب ناصر السعيد، وظل اول الشارع بلا فتة جديدة، وآخره باللافتة الاصلية. بعد أن استقر ناصر السعيد في بيروت، ونشر فيها كتابه الأخير عن "تاريخ آل سعود"، ظل يتتردد على "السفير" برغم نصائحه بالتستر وعدم الظهور الا في حالة الضرورة القصوى..

ذات يوم، جاءني المرحوم سمير فرنجية، فرحب به صديقاً جاء يطمئن علي في "السفير" .. غير أن سمير فرنجية فاجأني بأنه على موعد مع ناصر السعيد..

وبالفعل، وصل ناصر بعد دقائق، وقد "تنكر" في "ملابس عربية"، واخفى بعض وجهه بالковية، فصرخت به: وتعطي مواعيد عندي ايضا ومن دون علمي؟ ماذا يوسعني أن أفعل مع مطارديك، وهل تظن قد تخدعهم بهذا التنكر؟ ..

تركته مع سمير فرنجية، وعدت إلى عملي.. بعد حين جاء فودعني وخرج من المبنى الذي كانت فيه

"السفير"، وهو غير بعيد عن مبناها الحالي.

في اليوم التالي سرت شائعة عن اعتقال ناصر السعيد.. ثم تأكد الخبر، وثبت انه كان "لأبي الزعيم" بد في الاختطاف، ونقله إلى المطار حيث كانت طائرة سعودية تنتظر فأقلته على عجل.. ثم اختفى وكأنه لم يكن.

.. وقيل أن من في الطائرة قد القوه منها، وهو مكبل اليدين، فوق صحراء الربع الحالي..

\*\*\*\*\*

نتمى، من صميم القلب الا يكون مصير جمال خاشقجي مما ثلاً لمصير ناصر السعيد.. خصوصاً وان ولـي العهد الذي بلغ به النفاق اللازم لنـجاح المؤامـرة، انه نـزل بـجلـ قـدرـه ليـقـبـل قـدـمي ولـيـالـعـهـدـ الاـصـيلـ، الـامـيرـ محمدـ بنـ نـاـيـفـ، قـبـيلـ أـنـ يـخـلـعـهـ، وـبـنـجـ بـهـ فـيـ السـجـنـ، بـيـنـمـاـ أـكـرمـ اـمـرـاءـ آـخـرـينـ، وـصـفـوـةـ مـنـ رـجـالـ الـاعـمـالـ فـسـجـنـهـمـ فـيـ فـنـدـقـ "ـالـرـيـتـزـ"ـ وـهـوـ أـحـدـ أـفـخـمـ الـفـنـادـقـ فـيـ الـعـالـمـ..ـ وـلـاـ تـغـيـرـ الـفـخـامـةـ طـبـيـعـةـ السـجـنـ، خـصـوصـاـ وـهـوـ يـحـمـلـ عـنـوانـ ظـلـمـ ذـوـيـ الـقـرـبـىـ، وـهـوـ اـشـدـ مـضـاضـةـ مـنـ السـيفـ الـمـطـهـمـ!

هل نقول: رحم الله جمال خاشقجي، كما ترحمـنا على ناصر السعيد؟!

نـتـمـىـ اـلـاـ يـكـونـ ذـلـكـ قـدـ حدـثـ..ـ لـكـ الـاـمـلـ يـكـادـ يـكـونـ مـعـدـوـمـاـ!

مـتـىـ تـخـلـصـ هـذـهـ اـلـمـةـ مـنـ حـكـامـ الـظـلـمـ وـالـطـلـامـ، وـالـقـتـلـ غـيـرـ الـمـبـرـرـ، وـسـرـقـةـ الـكـعـبـةـ وـسـائـرـ مـاـ تـحـتـويـهـ الـارـضـ المـقـدـسـةـ الـتـيـ تـزـالـ مـنـهـاـ، وـمـنـ مـكـةـ الـمـكـرـمـةـ خـاصـةـ، مـاـ يـشـهـدـ لـهـ بـتـارـيـخـهـ الـذـيـ لـاـ مـثـيـلـ لـهـ وـلـاـ شـبـيـهـ!